الاستشراق نشأته وأهدافه

Orientalism its origin and objectives

د.زلافي ابراهيم

جامعة المسيلة

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الملخص:
الاستشراق ظاهرة ثقافية ومعرفية تغذيها طموحات اكتشاف الإنسان الغربي للشرق، ذلك الكون الجديد الذي سطعت منه شمس حضارة الإسلام، وأنارت بأشعتها ظلمات الجهل في أوربا، فصار لهذه الظاهرة كيان قائم بذاته له مؤسساته.
فما هو الاستشراق؟ وما هي حقيقته؟ وما هي أهدافه ودوافعه؟ هل لمصطلح الاستشراق جذور في معاجم اللغة العربية القديمة؟
الكلمات المفتاحية: الاستشراق، الشرق، المستشرقون.

Abstract:
Orientalism is a cultural and cognitive phenomenon fueled by the aspirations of Western man to discover the Orient, that new universe, illuminated by the sun of the civilization of Islam, and which has illuminated with its light the darkness of ignorance in Europe . This phenomenon has become an existing entity with its institutions.
What is orientalism? What is its truth? What are its objectives and goals? Does the term orientalism have its roots in old Arabic dictionaries?
Keywords : Orientalism, East, Orientalists

تمهيد:

الاستشراق حركة خيم على فكرها نزعة التنصير والاستعمار، واقتصر نشاطها إبان ظهورها على محاربة الإسلام، والطعن في القرآن الكريم وإثارة الشبهات حول النبي الكريم، ليتسع بعد ذلك نشاطها ويشمل دراسة الحضارة العربية الإسلامية وما أفرزته من علوم، ويتعداه إلى دراسة حضارات الشعوب الشرقية الأخرى.

مفهوم الاستشراق:

لم ترد لفظة الاستشراق بصيغتها هذه في المعاجم القديمة للغة العربية، ويرجح أنها مشتقة من مادة " شرق" يقال شَرَقَ، يَشْرُقُ، شُرُوقًا، شَرَقَتِ الشمس أي طلعت، واسم الموضع المشرق. والتَّشْرِيقُ: الأخذ في ناحية المشرق، وشرقوا ذهبوا إلى المشرق أو أتوا المشرق[1]. أَشْرَقَ، يُشْرِقُ، إِشْرَاقاً، أشرقت الشمس: طلعت وأضاءت وانبسطت على الأرض[2]. ويقال شرقت الشمس شرقاً وشروقاً، وطلعت كأشرقت، والشرق الأخذ في ناحية الشرق[3].

يتفق جل الباحثين على أن لفظة "الاستشراق" كلمة محدثة، مولدة من فعل استشرق. وفي معاجم اللغة العربية الحديثة يقال: استشرق، يستشرق، استشراقا، استشرق الأوربي أي اهتم بالدراسات الشرقية، بمعنى طلب علوم الشرق ولغاته. وحركة الاستشراق تعني اتجاه الكتاب الغربيين نحو العناية بتراث الشرق وحضارته[4]. إن مصطلح الاستشراق هو ترجمة للمصطلح الفرنسي Orientalisme[5] ، وهو تعبير أطلقه الغربيون على دراساتهم المتعلقة بحضارات شعوب الشرق ودياناته وتاريخه ولغاته وأوضاعه، وخاصة الحضارة العربية الإسلامية.

إن تحديد المفهوم الاصطلاحي لكلمة الاستشراق يدفعنا إلى استحضار آراء علماء الغرب أولا، ثم عرض آراء الباحثين العرب ثانيا.

*** عند الكتاب الغربيين:**

تعددت آراء المستشرقين حول مفهوم مصطلح "الاستشراق"، ومن الغربيين الذين تناولوا ظهور الاستشراق وتعريفه نجد المستشرق الألماني رودي بارت(1901-1983) Rudi Paret الذي يرى بأن مصطلح الاستشراق يحمل دلالتين إحداهما تعني علم يختص بفقه اللغة خاصة، أما المعنى الثاني فيتعلق بعلم الشرق،

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

لأن كلمة" الاستشراق" مشتقة من كلمة " شرق" وكلمة "شرق" تعني مشرق الشمس، وعلى هذا يرى رودي بارت أن الاستشراق: هو علم الشرق أو علم العالم الشرقي[6].

أما المستشرق الايطالي "ميشال أنجلو جويدي Michel Angelo Guidi (1886 – 1940) المختص في دراسة اللغة العربية والدين الإسلامي، فيرى بأن الاستشراق وجه من وجوه الاستعمار نتيجة الصراع القائم بين الغرب والشرق، وعبر عن ذلك بقوله:« الوسيلة لدراسة كيفية النفوذ المتبادل بين الشرق والغرب إنما هو "علم الشرق" ... ليس علم الشرق إلا بابا من أبواب تاريخ الروح الإنساني... »[7].

يذهب المستشرق الفرنسي"مكسيم رودنسون(1915-2004) Rodinson Maxime إلى أن كلمتي الاستشراق ومستشرق ظهرتا حديثاً في المعاجم اللغوية الغربية، وأن دراسة حضارة الشرق بدأت منذ القرن الثامن عشر الميلادي، حيث ظهرت كلمة مستشرق في اللغة الإنكليزية عام 1779م، كما دخلت كلمة الاستشراق معجم اللغة الفرنسية عام 1838م، وتجسدت فكرة دراسة الشرق، حيث أصبح الشرق يأخذ مكانه في مؤلفات القرن الثامن عشر إلى جانب الغرب[8].

***عند الباحثين العرب:**

من آراء الباحثين العرب حول مصطلح الاستشراق، نجد الباحث الإسلامي المصري أحمد حسن الزيات (1885-1968م)، صاحب كتاب "تاريخ الأدب العربي" يقول في معنى مصطلح الاستشراق:« يراد بالاستشراق اليوم دراسة الغربيين لتاريخ الشرق وأممه، ولغاته وآدابه، وعلومه وعاداته، ومعتقداته وأساطيره، ولكنه في العصور الوسطى كان يقصد به دراسة العبرية لصلتها بالدين ودراسة العربية لعلاقتها بالعلم، إذ بينما كان الشرق من أدناه إلى أقصاه مغموراً بما تشعه منائر بغداد والقاهرة من أضواء المدنية والعلم، كان الغرب من بحره إلى محيطه غارقاً في غياهب من الجهل الكثيف والبربرية الجموح »[9]. يميَّز الزيات بين مفهومين لكلمة الاستشراق، مفهوم يراه قديما يرجع إلى العصور الوسطى، عصور الظلام والجهل التي عاشتها أوربا، حيث ارتبط الاستشراق بدراسة العبرية لصلتها بالتوراة، والعربية لصلتها بالعلم. أما المفهوم الجديد فيشمل دراسة حضارة الشرق الإسلامي.

تأخذ كلمة استشرق معنى صار شرقيا، كما أن كلمة مستشرق تطلق على كل غربي اهتم بدراسة الشرق وحضارته، ويتضح هذا المعنى من قول الكاتب أحمد الإسكندري (1886-1954):« كل من تجرد من أهل الغرب لدراسة بعض اللغات الشرقية، وتقصى آدابها طلباً ليعرف شأن أمة أو أمم شرقية، من حيث أخلاقها وعاداتها وتاريخها وديانتها أو علومها وآدابها، والأصل في كلمة استشرق أنه صار شرقياً، كما يقال استعرب إذا صار عربياً»[10].

تناول المفكر الجزائري مالك بن نبي(1905-1973) مفهوم مصطلح الاستشراق في كتابه "إنتاج المستشرقين وأثره في الفكر الإسلامي الحديث" بقوله:« يجب أولا أن نحدد المصطلح، أننا نعني بالمستشرقين الكتاب الغربيين الذين يكتبون عن الفكر الإسلامي وعن الحضارة الإسلامية، ثم علينا أن نصنف أسماءهم في شبه ما يسمى: "طبقات" على صنفين:

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

- من حيث الزمن:طبقة القدماء وطبقة المحدثين.

- من حيث الاتجاه العام نحو الإسلام والمسلمين في كتاباتهم:فهناك طبقة المادحين للحضارة الإسلامية وطبقة المنتقدين لها و المشوهين لسمعتها»[11].

كما قدم المفكر الإسلامي المصري محمود حمدي زقزوق (ولد عم 1933) بعض التعريفات لمفهوم مصطلح الاستشراق من بينها قوله: « كلمة مستشرق بالمعنى العام تطلق على كل عالم غربي يشتغل بدراسة الشرق كله... ولكننا هنا لا نقصد هذا المفهوم الواسع... وإنما كل ما يعنينا هنا هو المعنى الخاص لمفهوم الاستشراق الذي يعني الدراسات الغربية المتعلقة بالشرق الإسلامي في لغاته وآدابه وتاريخه وعقائده وتشريعاته وحضارته بوجه عام»[12].

نختم آراء المفكرين العرب حول الاستشراق برأي ساسي سالم الحاج الذي يرى بأن الاستشراق له عدة مفاهيم متداخلة ومتكاملة فيما بينها، أولها يراد به العلم الذي تناول المجتمعات الشرقية بالدراسة والتحليل من قبل علماء الغرب. والمعنى الثاني يقصد به أسلوب للتفكير، يرتكز على التمييز المعرفي والعرقي والإيديولوجي بين الشرق والغرب. والمعنى الثالث يقصد به أناس من الغرب يدعون بالمستشرقين وهم كتاب غربيون كتبوا عن الفكر والحضارة الإسلامية[13].

يتضح مما سبق سرده من أقوال وآراء مختلفة لمفكرين أجانب وعرب، أن الاستشراق ظاهرة فكرية غربية، وأن المستشرقين هم جماعة من علماء الغرب في شتى الميادين العلمية والثقافية اهتموا بدراسة حضارة الشعوب في الشرق وخاصة الحضارة العربية الإسلامية.

نشأة الاستشراق:

يمكن أن نطرح السؤال الآتي: متى بدأ الاستشراق وأين نشأ؟

يصعب على الباحث في هذا المجال أن يحدد تاريخاً معيناً لبداية الاستشراق، وهذا بسبب اختلاف أهل الاختصاص من مؤرخين ومفكرين أجانب وعرب في الاتفاق على تاريخ لبداية الاستشراق أو مكان ظهوره. ونتيجة لهذا الاختلاف في الآراء نذكر بعض الأقوال الواردة في هذا المجال.

يذهب بعض المؤرخين إلى أن بداية الاستشراق ترجع إلى بداية الصراع بين الفرس واليونان في القرن السادس قبل الميلاد، من خلال ما كتبه المفكر اليوناني هيرودوتس(425ق م-484 ق م) Herodotus عن الشرق، ويعتبرون ذلك بداية أول اتصال بين الشرق والغرب، ثم الاكتساح اليوناني للشرق بقيادة الإسكندر الأكبر في القرن الرابع ق.م[14].

يرجع بعض المؤرخين بداية الاستشراق إلى القرن السابع الميلادي، أما مكان نشأته فهو المشرق العربي، ومع ظهور الإسلام وانتشاره في الأمصار، بدأ الجدل بين المسلمين وأهل الكتاب، وحاول اليهود والنصارى التشكيك في الدين الإسلامي، وترسخ هذا الجدل بما كتبه الراهب يوحنا الدمشقي (676م -749 م) Jean de Damas في بداية القرن الثاني الهجري من رسائل لمحاورة المسلمين ومجادلتهم[15].

يدعم الرأي السابق ما ذهب إليه المفكر المصري أحمد عبد الحميد غراب، الذي تحدث عن الموقف العدائي الغربي القديم للإسلام، إذ يقول: « ولاشك أن هذا الموقف قد اكتسب– وما

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

زال يكتسب– أبعاداً جديدة وخطيرة ولاسيما في جوانبه السياسية والثقافية منذ الحروب الصليبية حتى اليوم، ولكن هذا الموقف في جوهره النابع من العداوة في العقيدة ليس بجديد، فهو موقف الكافرين موقف الإنكار للرسالة، والتكذيب للرسول صلى الله عليه وسلم، وإثارة الشبهات حول الإسلام، وحول القرآن والرسول صلى الله عليه وسلم بوجه خاص؛ لتشكيك المسلمين في دينهم ومحاولة ردهم عنه»[16].

شهدت جامعات إشبيلية، وقرطبة، وغرناطة إبان حكم العرب للأندلس وازدهار الحضارة العربية الإسلامية في القرن الثامن الميلادي، إقبالاً كبيراً من الطلبة الأوربيين لتعلم اللغة العربية ودراسة العلوم المعرفية، وقد ازدهرت في تلك الفترة الترجمة من العربية إلى اللغات الأوربية[17]. وعلى هذا يبني أحمد سمايلوفيتش رأيه في ظهور حركة الاستشراق.

تزايد اهتمام الغرب باللغة العربية وآدابها، وازدهرت حركة الترجمة من العربية إلى اللغات الأوربية خاصة في القرن العاشر الميلادي، وما يؤكده المفكر مصطفى السباعي(1915-1946) هو أنه« لا يعرف بالضبط من هو أول غربي عني بالدراسات الشرقية، ولا في أي وقت كان ذلك، ولكن من المؤكد أن بعض الرهبان الغربيين قصدوا الأندلس إبان عظمتها ومجدها، وتثقفوا في مدارسها، وترجموا القرآن والكتب العربية إلى لغاتهم... ومن هؤلاء الرهبان الراهب الفرنسي سلفستر الثاني Silvester 2 الذي درس في الأندلس ثم تقلد منصب البابوية عام 999م»[18].

يعد المستشرق الألماني رودي بارت Rudi Paretمن المستشرقين الذين بحثوا في نشأة الدراسات الاستشراقية، وألفوا حول الدراسات العربية في الجامعات الألمانية، فهو يرجع الظهور الفعلي لحركة الاستشراق إلى القرن الثاني عشر الميلادي كبداية فعلية، ويستشهد على ذلك بظهور أول ترجمة لاتينية لمعاني القرآن الكريم بتوصية من الراهب بطرس الموقر الذي زار الأندلس، وأوصى بإصدار أول ترجمة لمعاني القرآن الكريم إلى اللغة اللاتينية عام 1143م[19].

شكلت الحروب الصليبية نقطة تحول هامة في تاريخ الشرق، ومن هذا الجانب ترى الباحثة عقيلة حسين أن النشأة الأولى للاستشراق ترجع إلى انهزام الصليبيين في القدس، حيث بدأ الرهبان يحرضون شعوبهم على غزو الشرق، واعتبار هذه الحرب حربا دينية[20]. فيما يذهب إدوارد سعيد إلى أن البداية العلمية لظهور حركة الاستشراق كانت بانعقاد مؤتمر مجمع فيينا الكنسي عام 1312م، والذي كان من أهم توصياته إنشاء عدد من كراسي اللغة العربية في الجامعات الأوربية مثل جامعة أكسفورد، جامعة كامبردج، جامعة بولونيا، جامعة روما، جامعة السربون[21].

شهد القرن التاسع عشر الميلادي بداية المؤتمرات الدولية للمستشرقين؛ إذ عقد أول مؤتمر دولي من طرف المستشرقين عام 1873م، وظهرت الجمعيات الاستشراقية التي نشطت في إصدار المجلات والمطبوعات، وبهذا شكل هذا القرن بداية نوعية في مجال الاستشراق[22].

دوافع الاستشراق:

ما هي الدوافع التي أدت إلى نشأة الاستشراق؟ وما هي الأهداف الكامنة خلف هذه الجهود المبذولة من طرف المستشرقين؟

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

يرى أحمد سمايلوفيتش أن دوافع الاستشراق الرئيسية سبعة، وهي نفسية، تاريخية اقتصادية، إيديولوجية، دينية، استعمارية، علمية. وأخرى ثانوية تتمثل في أسباب شخصية مزاجية عند بعض الذين تهيأ لهم الفراغ والمال واتخذوا الاستشراق وسيلة لإشباع رغباتهم الخاصة في السفر والترحال، أو الاطلاع على ثقافة الغير...[23]

إذا أخذنا بالقول أن الاستشراق بدأ بتشجيع من الكنيسة ورجال الدين، فإن الاهتمام الديني يعد أول دافع لظهور حركة الاستشراق. يقول الكاتب الفلسطيني الأصل إدوارد سعيد(1935-2003):« إن الاستشراق السامي والاستشراق الإسلامي لم يكونا قد حررا نفسيهما، إلا إلى درجة ضئيلة جدا، من إسار الخلفية الدينية التي انشقا منها أصلا»[24]. ويدعم هذا الرأي ما جاء في الخطاب الذي وُجِهَ إلى مؤسس كرسي اللغة العربية في جامعة كمبردج في 9مارس 1636م، والذي جاء فيه: « ونحن ندرك أننا لا نهدف من هذا العمل إلى الاقتراب من الأدب الجيد بإلقاء الضوء على المعرفة وهي ما تزال بعد محتبسة في نطاق هذه اللغة التي نسعى لتعلمها، ولكننا نهدف أيضاً إلى تقديم خدمة نافعة إلى الملك والدولة عن طريق تجارتنا مع الأقطار الشرقية، وإلى تمجيد الله بتوسيع حدود الكنيسة والدعوة إلى الديانة النصرانية بين هؤلاء الذين يعيشون الآن في الظلمات»[25].

تحدث المفكر المصري محمد البهي(1905-1982) في كتابه "الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي" عن الدافع الديني قائلاً: « هذه وجهة نظر ربما لا تجد مرجعا مكتوبا يؤيدها غير أن الظروف العامة، والظواهر المترادفة في كتابات هؤلاء المستشرقين تعزز وجهة النظر هذه، وتخلع عليها بعض خصائص الاستنتاج العلمي، ويمكننا تلخيص غايات الهدف الديني في نقاط:

1* زعزعة إيمان المسلمين بقرآنهم ونبيهم .

2* تشكيك المسلمين في الشريعة الإسلامية وعجزها – في زعمهم- عن مسايرة التطور. فالدراسات الاستشراقية الحديثة تحاول" التركيز على أهمية القوانين الوضعية وتطبيقها على المسلمين بدلا من شريعة القرآن".

3* حجب محاسن الإسلام عن العقل المسيحي حتى لا يقتنع به ثم يعتقده.

4*زرع تخاذل روحي وشعور بالنقص في نفوس المسلمين»[26].

تحدث السباعي عن الدافع الأول للاستشراق فقال:«لا نحتاج إلى استنتاج وجهد في البحث لنتعرف إلى الدافع الأول للاستشراق عند الغربيين وهو الدافع الديني. فقد بدأ بالرهبان –كما رأينا- واستمر كذلك حتى عصرنا الحاضر –كما سنرى- وهؤلاء كان يهمهم أن يطعنوا في الإسلام ويشوهوا محاسنه ويحرفوا حقائقه ليثبتوا لجماهيرهم التي تخضع لزعامتهم الدينية أن الإسلام دين لا يستحق الانتشار، وأن المسلمين قوم همج لصوص»[27].

إذا كان الهدف الديني لم يعد ظاهرا في كتابات المستشرقين المعاصرين، فليس معنى ذلك أنه اختفى، وإنما ما زال موجودا ولكنه مستتر وراء ستار من الصعب إدراكه. وهذا ما كشف عنه المستشرق البريطاني "برنار لويس(1916-2018) Bernard Lewis ":« لا تزال آثار

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

التعصب الديني الغربي ظاهرة في مؤلفات عدد من العلماء المعاصرين، ومستترة في الغالب وراء الحواشي الموضوعة في الأبحاث العلمية»[28].

لا ينطبق ما قاله برنار لويس على جميع المستشرقين، فهناك نفر منهم قد حاول التزام الحياد والموضوعية في دراساتهم وكتاباتهم حول الشرق.

يقول المفكر السوري عبد الرحمن حنبكة الميداني الدمشقي (1927-2007) في كتابه أجنحة المكر الثلاثة (التبشير-الاستشراق-الاستعمار):« وسقطت معظم الجامعات المنشأة في بلاد المسلمين تحت الأيدي الخفية للاستشراق والتبشير والدوائر الاستعمارية، وغدت خططها ومناهجها وتوجيهاتها تخضع بطريق غير مباشر لما تفرضه وتمليه هذه الأيدي الخفية ... »[29].

حقق المستشرقون الحاقدون على الإسلام هدفهم، من خلال سيطرتهم على منابر التعليم في الجامعات الإسلامية، حتى يتعلم المسلمون أمور دينهم ولغتهم وحضارتهم وفق ما تخطط له أيدي أعدائهم، بما يخدم أغراض وأهداف الكنيسة.

إضافة إلى الدافع الديني هناك دافع استعماري تمثل في تسخير الغرب للحركة الاستشراقية لتحقيق سيطرته على العالم الإسلامي. تلقف الاستعمار حركة الاستشراق وزودها بما تحتاجه من مال ووسائل، وجعل منهم سفراء وقناصل في البلدان الإسلامية، فجمعوا له المعلومات الضرورية لتسهيل سيطرته على شعوب الشرق[30].

يؤكد ارتباط الاستشراق بالاستعمار ما ذكره إدوارد سعيد (1935-2003)، حيث جاء في حديثه ما يلي: « خلال السنوات الأخيرة من القرن العشرين، لم يكن بإمكان رجال مثل" بلفور" و" كرومر"- وهم من عتاة ودهاة المحتل البريطاني- أن يقولوا ما قالوه، وبالطريقة التي بها قالوا: إلا لأن تراثا من الاستشراق، أقدم من تراث القرن التاسع عشر، زودهم بمفردات، وصور، وبلاغة... ومع ذلك فإن الاستشراق عَزَّزَ، وعُزِّزَ بالمعرفة الأكيدة لكون أوربا أو الغرب تسيطر»[31].

يصف المستشرق الألماني المعاصر استفان فيلد(ولد عام1937) Stephan wild المستشرقين الذين سخروا علمهم لخدمة الاستعمار قائلاً: «... والأقبح من ذلك، أنه توجد جماعة يسمون أنفسهم مستشرقين سخروا معلوماتهم عن الإسلام وتاريخه في سبيل مكافحة الإسلام والمسلمين. وهذا واقع مؤلم لابد أن يعترف به المستشرقون المخلصون لرسالتهم بكل صراحة »[32].

لم ييأس الغرب بعد انهزامه في الحروب الصليبية من التفكير في احتلال البلاد الإسلامية والسيطرة عليها، فاتجه إلى دراسة الشرق ليتعرف على مواطن القوة والضعف فيه، فمهدت الحركة الاستشراقية الطريق أمام الزحف الاستعماري، وساعدته على إضعاف المقاومة الروحية والمعنوية لشعوب الشرق، وبث الوهن الفكري والتشكيك في العقيدة والتراث[33].

انكبَّ بعض المستشرقين بدافع علمي على ة الحضارة الإسلامية بشتى علومها:(الكيميائية، الرياضية، الفلسفية ...)، وشيدوا لهذه العلوم الجامعات والمعاهد في معظم الدول الغربية، فكان حبهم لطلب علوم الشرق من أجل الاستفادة والاطلاع على حضارات الأمم الأخرى،و كانت دراساتهم موضوعية، حيث جاءت بحوثهم أقرب إلى الحق والصواب. وفي هذا يقول الباحث

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

عمر بن إبراهيم رضوان:« ومن هؤلاء المستشرقين من أدى به بحثه الخالص لوجه الحق إلى اعتناق الإسلام، كما حصل ذلك مع المستشرق المجري" جرمانوس" والطبيب الفرنسي" موريس بوكاي"»[34].

يرى محمود ماضي أن هدف بعض المستشرقين الذين أقبلوا على دراسة الحضارة الإسلامية هو «الإفادة من الجوانب المشرقة في تاريخ الإسلام، كالوقوف على تاريخ العلوم التي ازدهرت في رحاب الحضارة الإسلامية...»[35]. فإذا كان هدف هؤلاء المستشرقين الذين ذكرهم "محمود ماضي" في كتابه الوحي القرآني في المنظور الاستشراقي ونقده هو تحصيل المعرفة العلمية عن حضارة الشرق من أجل العلم ذاته، فإن عدد هؤلاء قليل، ونجدهم يتصفون دوماً بالأمانة والموضوعية العلمية، وحبهم الخالص للشرق وحضارته.

يرجع"رودي بارت" ظهور الدافع العلمي عند المستشرقين إلى منتصف القرن التاسع عشر الميلادي، حيث يقول: « إننا نعني أن الصفة العلمية بالمعنى الحديث ظهرت في هذا الوقت على الاستشراق بوضوح أكثر من ذي قبل... عندما اجتهدوا في نقل صورة موضوعية لعالم الشرق، متجردين من الآراء السبقية ومن كل لون من ألوان الانعكاس الذاتي». ويواصل رودي بارت حديثه مدافعاً عن الهدف العلمي للاستشراق، حيث يقول: « نحن معشر المستشرقين، عندما نقوم اليوم بدراسات في العلوم العربية والعلوم الإسلامية، لا نقوم بها فقط لكي نبرهن على صفة العالم العربي الإسلامي، بل على العكس، نحن نبرهن على تقديرنا الخالص للعالم الذي يمثله الإسلام ومظاهره المختلفة، والذي عبر عنه العالم العربي كتابة»[36].

كما كان للمستشرقين دوافع تاريخية قديمة تولدت منذ أن حدث الصراع بين المسيحية والإسلام في ديار الشرق. اتخذ هذا الصراع في بداية الأمر شكلاً عسكرياً، ثم تحول إلى صراع فكري تنصيري يسعى للنيل من الإسلام، من خلال بث الطعن في القرآن الكريم، وبث الشبهات بغرض صرف أنظار الأوربيين عنه[37]. لم يكن موقف المجادلين المسيحيين الأوائل، ولا موقف المستشرقين من بعدهم بعيداً عن موقف مشركي مكة إبان مولد الدعوة المحمدية، بل اتخذوا منه قاعدة صلبة لإثارة المزاعم والشبهات.

شكل الدافع التجاري حافزاً أساسياً في الاهتمام بالشرق، فقد كانت أوربا بحاجة إلى المواد الأولية لتشغيل مصانعها، وإلى أسواق لتصدير إنتاجها خارج أوربا، فكان هذا دافعا قوياً وراء توسع حركة الاستشراق في العالم الإسلامي، حيث يقول أحمد سمايلوفيتش:« أدرك الغرب أنه إذا أراد أن يسامي الشرق ويتفوق عليه، فليس له من سبيل آخر يوصله إلى انتزاع الأمور من يده إلا بتعلم لغاته، وما يتعلق بها من حضارة وعلوم، وأدرك أنه لكي يتسرب إلى مصادر القوة في الشرق ويمزقها يجب عليه أن يتسلح بالقوة الاقتصادية »[38].

تحدثّ عمر بن إبراهيم رضوان عن الدافع التجاري للاستشراق الذي يهدف إلى التحكم في حياة شعوب الشرق" قائلاً: « وحرصوا على فتح أسواق تجارية لصناعاتهم في منطقتنا، وحرصوا كذلك على قتل النشاط الصناعي والتجاري في شرقنا حتى يبقى متخلفاً، شاعراً بالنقص والحاجة

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

لهم، منهزماً نفسياً أمام تقدمهم، مما يسهل خضوعه وخنوعه وانقياده لهم»[39].

خاتمة:

إن مصطلح الاستشراق لفظ حديث أريد به الحركة الفكرية الغربية التي اهتمت بدراسة حضارات الشرق، وخاصة الحضارة الإسلامية، هذه الحركة ظهرت بُعَيْدَ ظهور الإسلام، وازداد نشاطها إبان عظمة الحضارة العربية الإسلامية، تحت دوافع دينية واستعمارية واقتصادية وعلمية، وأفرزت إنتاجاً فكرياً لا يستهان به. والمستشرقون هم رجال هذه الحركة من مفكرين ورجال كنيسة، ومن سياسيين وعسكريين.

الهوامش:

[1] - ابن منظور، لسان العرب، المجلد الثالث، مادة (شرق)، دار الجيل، بيروت، 1988، ص303.

[2] - الزبيدي، تاج العروس، المجلد13، دار الفكر، بيروت، 1994، ص 237.

[3] - الفيروز آبادي، القاموس المحيط، المجلد3، الهيئة العامة للكتاب، مصر،1979م، ص ص241-242.

[4] - محمد محمد داود، المعجم الوسيط واستدراكات المستشرقين، دار غريب للطباعة والنشر، القاهرة، ط1، 2006 ، ص120.

[5] - سهيل إدريس وجبور عبد النور، المنهل، دار العلم للملايين، لبنان، 1990، ص722.

[6] - رودي بارت، الدراسات العربية والإسلامية في الجامعات الألمانية، تر:مصطفى ماهر، دار الكتاب العربي، القاهرة، 1967، ص ص 11-12.

[7] - أحمد سمايلوفيتش، فلسفة الاستشراق وأثرها في الأدب العربي المعاصر، ص 24.

[8] - المرجع نفسه، ص 25.

[9] - أحمد حسن الزيات، تاريخ الأدب العربي، مطبعة النهضة، مصر، 2004، ص512.

[10] - أحمد الإسكندري وآخرون، المفصل في تاريخ الأدب العربي،ج2، مطبعة مصر، القاهرة، 1934، ص 408.

[11] - مالك بن نبي، إنتاج المستشرقين وأثره في الفكر الإسلامي الحديث، دار الإرشاد، بيروت، ط1 ،1969، ص6.

[12] - محمود حمدي زقزوق، الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري، دار المعارف، القاهرة، 1997، ص18.

[13] - ساسي سالم الحاج، نقد الخطاب الاستشراقي، ج1، دار الكتب الوطنية، ليبيا، ط1، 2002، ص20.

[14] - أحمد سمايلوفيتش، فلسفة الاستشراق وأثرها في الأدب العربي المعاصر، ص71.

[15] - نجيب العقيقي، المستشرقون، ج1، دار المعارف، القاهرة،1971، ص72.

[16] - أحمد عبد الحميد غراب، رؤية إسلامية للاستشراق، المنتدى الإسلامي، القاهرة، ط2، 1991، ص11.

[17] - أحمد سمايلوفيتش، فلسفة الاستشراق وأثرها في الأدب العربي المعاصر، ص67.

[18] - مصطفى السباعي، الاستشراق والمستشرقون ما لهم وما عليهم، دار الوراق، دمشق، 1979، ص18.

[19] - رودي بارت، الدراسات العربية والإسلامية في الجامعات الألمانية ، ص11.

[20] - عقيلة حسين، المرأة المسلمة والفكر الاستشراقي، دار ابن حزم، بيروت، ط1، 2004،ص 37.

[21] - إدوارد سعيد، الاستشراق، مؤسسة الأبحاث العربية ،تر:كمال أبو ديب، بيروت، ط5، 2001، ص80.

[22] - محمود حمدي زقزوق، الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري، ص50.

[23] - أحمد سمايلوفيتش، فلسفة الاستشراق وأثرها في الأدب العربي المعاصر، دار الفكر العربي، القاهرة، 1998، ص40.

[24] - إدوارد سعيد، الاستشراق، ص265.

[25] - عبد اللطيف الطيباوي، المستشرقون الناطقون بالإنكليزية، تر: قاسم السامرائي، مطبوعات جامعة الإمام محمد بن سعود، الرياض،1991،ص 22.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

[26] - محمد البهي، الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي، مكتبة وهبة، القاهرة، دت، ص 431.

[27] - مصطفى السباعي،الاستشراق والمستشرقون (مالهم وما عليهم)، مكتبة دار البيان، بيروت، 1968، ص20.

[28] - ينظر: محمود حمدي زقزوق، الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري ، ص76.

[29] - عبد الرحمن الميداني، أجنحة المكر الثلاثة(التبشير - الاستشراق -الاستعمار)، دار القلم، دمشق، ط8، 2000، ص153.

[30] - محمود ماضي، الوحي القرآني في المنظور الاستشراقي ونقده، دار الدعوة للطبع والنشر والتوزيع، القاهرة، 1996، ص22.

[31] - إدوارد سعيد، الاستشراق ، ص72.

[32] - ينظر: محمود حمدي زقزوق، الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري ، ص47.

[33] - مصطفى السباعي، الاستشراق والمستشرقون، ص22.

[34] - عمر بن ابراهيم رضوان،آراء المستشرقين حول القرآن الكريم و تفسيره،دار طيبة،الرياض، ص 37.

[35] - محمود ماضي، الوحي القرآني في المنظور الاستشراقي ونقده، ص 26.

[36] - محمود ماضي، الوحي القرآني في المنظور الاستشراقي ونقده، ص 26.

[37] - عمر فروخ ومصطفى الخالدي، التبشير والاستعمار في البلاد الإسلامية، المكتبة العصرية، بيروت، 1986، ص 46.

[38] - أحمد سمايلوفيتش، فلسفة الاستشراق و أثرها في الأدب العربي المعاصر ، ص 45.

[39] - عمر بن إبراهيم رضوان، آراء المستشرقين حول القرآن الكريم و تفسيره ، ص 30.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com